ولا لحوق الذم فان الله غني حميد وكيف يقول به حكيم وهو يعلم انه ظلم عظيم فاذكر اذ قال لقمان
لابنه اسم ابنه انعم او اشكم او ماثان والاثم انما يعلم الخيرات سيما وهو يعظه لا بالاغلاظ يا بني
صغره اشعارا بانه انما يعظ بمقتضى الشفقة العظيمة اللازمة لصغار الاولاد لا تشرك بالله باعتقاد
الهية الغير واتصافه بالصفات الازلية واستحقاقه للعبادة ولم يقل شيئا لئلا يتوهم تجويز
شرك ما لا يسمى شيئا ان الشرك باي وجه كان لظلم عظيم فان اعتقاد الهية ما ليس بواجب الوجود
بالذات واتصافه بالصفات الازلية وضع للادنى موضع الاعلى واعتقاد استحقاقه للعبادة
تسوية بين من لم ينعم بشيء وبين المنعم بكل شيء بل هو ايضا وضع العابد موضع المعبود ولكونه
ظلما عظيما لا يطاع فيه من جعله الله تلوه في الشكر الذي فوق الطاعة فانا ووصينا الانسان
اي امرناه امرا موكدا بوالديه اي بطاعتهما سيما الوالدة لانه حملته امه تحمل وهنا على وهن اي
ضعفا فوق ضعف الى الوضع ولا يزال بعد ذلك يتعب بالسهر ليلا ونهارا مدة رضاعه الى
اوان فطامه وفصاله اي فطامه في اخر عامين فامرناه ان اشكر لي نعمة الايجاد وغيرها ولوالديك
نعمة التربية وليس ذلك من الشرك في الشكر اذ الي المصير لشكرهما اذ كان بامري ومع امرك
بطاعتهما وشكرهما غلظ بسبيل التاكيد وان جاهداك اي قاتلاك على الزامك ان تشرك بي فانه
وان لم يظهر لك كونه ظلما عظيما فكفى فيه انه اشراك ما ليس لك به اي بشركه علم فان الحكم بالجهل
سيما في مثل هذه الامور كاف في الظلم فيها وان اوجبت بطاعتهما في كل شيء فلا تطعهما
فيه وان لم يسقط طاعتهما في ساير الامور ولذلك صاحبهما في امور الدنيا صحابا معروفا
يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في امور الدين سبيل من اناب الي اي رجع الي عن
كل ما سواي فاخذ مني العلوم والمعارف فغاية ذلك انكم تتعبون في ذلك بالمآثم يذهب
تعبكم اذ الي مرجعكم فان لم تتعبوا في الدنيا فاذا رجعتم الي فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني كيف
يحتمل الظلم العظيم في حق من يجازي على الذرات كلها انها اي الخصلة التي ياتي بها الانسان
من اساءة او احسان ان تك صغيرة بحيث لو كانت جسما كانت مثقال اي وزن حبة واحدة
من خردل فتكن في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او في اعلى الاماكن كمحدب السموات او في
اسفلها كمركز الارض يات بها الله اي يحضرها ليحاسب عليها ان الله لطيف ينفذ علمه وقدرته
في كل شيء خبير يعلم كنه الاشياء فلا يعسر عليه يا بني اذا كان الله مجازيا على الذرات اقم الصلوة
الشاغلة جميع اعضائك به ظاهرا وباطنا فهي جامعة لكمالاتك ولتكميل الخلق امر بالمعروف
وانه عن المنكر هذا في باب الافعال وفي باب الاخلاق اصبر على ما اصابك وزاد الصبر في الصلوة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكرات ان جميع ذلك من عزم الامور التي لا رخصة في الاخلال بشيء

منها

منها فهذه حقوق الله وفي حقوق الخلق لا تصعر اي لا تمل خدك للناس بتوليه صفحة وجهك عنهم
تكبرا عليهم ولا تمش في الارض مرحا اي خيلاء فهما تابان وان كانتا من حقوق الخلق فالله يعم
بكر بهما ان الله لا يحب كل مختال ولو بالمشي مرحا فكيف يحب كل فخور حتى بتصعير الخد للناس
ثم اشار الى تسوية افعال العادة بقوله واقصد اي توسط بين الاسراع والدبيب
في مشيك واغضض اي انقص من رفع صوتك فانه يقبح بالرفع حتى يكره الناس انكارهم
على صوت الحمير ان انكر الاصوات لصوت الحمير وكيف يرضى الانسان برتبة الحمار وقد جعل
فوق المخلوقات كلها الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات من الملائكة والكواكب وما في الارض
من المعدن والنبات والحيوان وجعلكم جامعين لاسرار ذاته وصفاته وافعاله واسرار
العالم اذ اسبغ اي اكمل عليكم نعمه ظاهرة من الحواس الظاهرة ومحالها ومحسوساتها وباطنة
من الحواس الباطنة ومحسوساتها والعقل والمعقولات والروح والقلب والسر والخفي وانما
فعل ذلك لتعرفوه حق معرفته وتتقربوا اليه وتزدادوا كمالات ولكن من الناس الذين نسوا مرتبتهم
وانعامات الحق عليهم من تنزل الى ادنى من رتبة الحمار اذ يجادل في الله ذاته واسمايه وصفاته
او افعاله بغير علم اي دليل عقلي ولا هدى اي دليل كشفي ولا كتاب منير للعقل والكشف وليس
ذلك لفقدهم الكتاب او علمه بل مع وجدانهما بحيث اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله في معارفه
واحكامه فانه اعلم بذلك كله وقد نزلها في كتابه المعجز الجامع بين العقل والكشف قالوا بل
نتبع ما وجدنا عليه اباءنا فرجحوا تقليدهم على الدلايل العقلية والكشفية وعلى ما هو للبصر بمنزلة نور
الشمس من غير اطلاع على حال من يقلدونهم ايتبعونهم ولو كان الشيطان الذي هو عدوهم يدعوهم
الى اعتقادات واعمال هي اسباب العذاب كانه يدعوهم الى عين عذاب السعير وان زعموا
ان الذي ما اتيك بالوحي هو الشيطان يدعوك الى عذاب السعير فقال ليس في دعوته ما يفضي
الى العذاب اذ حاصلها اسلام الوجه لله والاحسان ومن يسلم وجهه اي يخلص بوجهه في
العبادة الى الله ولا يمنع منه توجهه في الظاهر الى القبلة اذ هو محسن ناظر الى الله لا الى
القبلة فقد استمسك بالعروة الوثقى اي الحبل الوثيق الموصل الى الله المانع من السقوط في
النار وهو خلاف دعوة الشيطان ولا يمنع منه علام النفاة الى الشركاء لانهم لو كانوا موثرين
فانما يوثرون بالله اذ الى الله عاقبة الامور فلا يمكنهم من التاثير فمن اسلم وجهه اليه وهو محسن
ومن كفر زعم ان لا رجوع الى الله وانه مستقل بالتاثير فله ان يمنع من التمسك بالعروة الوثقى
لمن تمسك بدونه فلا يحزنك كفره اذ لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة فكفره بالرجوع لا يمنعه
من الرجوع بل الينا مرجعهم وكيف لا نرجعهم الينا وقد كفروا بنا وقصدوا الاضلال عبيدنا

Copyright © King Saud University